يدفع ببن جلون الى رؤية الرموز الجماعية ضمن ثباتها وسلبيتها . وهكذا يبدو الحمام عصفورا من البلاستيك .

دون هوادة تشتعل حرب بن جلون على الماضي — المسخ الى ان تسقط كل اصنامه ، ويحتضر الزمن بشكله العمودي . آنذاك يصح القول ان بن جلون تخلص من الذاكرة الآثمة والذاكرة المحنكة .. وكانت بداية الخلود ، باعتبار ان كل احتضار للذاكرة هو نوع من الولوج الى الابد : « وضعت حجاب الموت الابيض على ذاكرتي » ..

رويدا، رويدا ، ينتشر الشاعر في عوالم الافق، متخلصا من جرثومة الزمن « روحي ازرق .. لا ليست هذه بصورة . كجمال ناظم حكمت ، صرت ملاكا .. انا خفيف . خفيف جدا ، غالى بوابة الجنة احرسها » .

مع ولادة الخلود ، صار الجمل الواعظ غير جمل الصحراء ، باعتبار ان الكائن هو انعكاس ما للمكان . صار جملا زمانه فضاء . وتحول الرمز الى اعرق ما في الحياة العربية ، واكثرها اتصالا بالارض ، تحول الى طائر ابتكرته موهبة الرفض. هو بين الارض والسماء مزيج من براق وجمل .

البتر اسلوبا ثوريا

لان الماضي الذي يجهد بن جلون في التخلص منه ماض قريب ، غير ماضي الامجاد والفتوحات، فان الشاعر لا يخلص تماما من مأزق الذاكرة التي تعبر عن « ذاكرة النكبة » . بل انه يمكننا القول ان الحاضر هو شكل من اشكال الماضي ، لان فلسطين تشده الى الماضي القريب . فلسطين هذا الخيط اللامرئي الذي يجعل الحاضر ماضيا بالقسر ، فهو وهذا الماضي توأمان : ٧٣/٦٧/٤٨ .. ثلاثة تنويعات على الفاجعة العربية .

ولكن هل تتوقف مهمة الشاعر عند نفض الغبار، غبار الغموض عن الانظار ، ومسح الظلال ، واعطاء الاشياء حجمها الحقيقي ؟ لو كان الامر كذلك لما كان هناك شعر ثوري . ان غنائية النفي وحدها لا تكفي لايقاظ بذور الثورة في القلب العربي .

من هنا كان لا بد للشاعر ان يكون ايضا محرضا . اي ان ينتقل من مستوى الوصف الى مستوى الحركة . ومن البديهي ان يكون الحوار مدخلا لهذه الحركة . الحوار بكل درجاته ، تتوسع به دائرة الكلام . ندخل به انا وانت وهو، عسى يبرق في الافق بلقائنا بصيص امل عربي . اكثر ازمنة الحوار ترددا في هذه المطولة ، هو زمن المخاطب حيث يجهد الايقاع بكل ما يملك من وسائل عنف الى ان يكون ايجابيا . وليس من شك بان ضمير المخاطب هو اكثر الضمائر اهلا بالحضور .

« تعودتم صنع التاريخ / مداخنكم تبصق دما اسود في السماء / دما غريبا / كلابكم تعرفه / خائفون انتم من الجمال المتدفقة من الجزيرة العربية / في بطونها يضج اطفال ولدوا تحت الخيام / اطفال قرروا تصحيح التاريخ وتحريك اسفلت طمأنينتكم » .

في منطقة المخاطبة ، يصير الوعي اكثف واكثر واقعية ، الشعر هنا يقترب من المواجهة ، او بتعبير اخر من المسرح ، وندا لند يتلاقى الشاعر والقارىء . ضمن هذا التحرك الثنائي ، يمضي الشاعر في ايضاح المسؤوليات وتوزيع التهم . وكلما كان القارىء المفترض ابعد منالا (الانسان الغربي بالتحديد) انهال سوط الشعر بعنف اكبر :

« لا وقت لديكم للحلم
لا وقت لديكم لاكتشاف شعب مشرد
دفنتم مذابحكم
قبل العودة الى اجسادكم » .

لا شك في ان هذا التهديد والوعيد آنيان ، يمران بسطح الكيان دون ان يقتربا من زلزلة الاعماق ، في حين ان المطلوب هو ايجاد بديل للذاكرة ، اي اعطاء الحاضر بعد الزمن كله . وليس سوى الدهشة بالمعنى البريختي للكلمة قادرة على اقتحام سكة الذات الملتوية ، وانتاج الانتباه للحاضر .

« ثمة جسد متبرج
وجه يبكي لونا
يصعد في عربة
يمد لسانه
برجم بالحجارة واللهب رجلا في كيس